باقات من حدائق الشخصية الأغنى بالإنسانية طاغور

أسوأ أنواع الجهل أن تجهل نفسك... ليت حبي يلفك بضيائه كالشمس

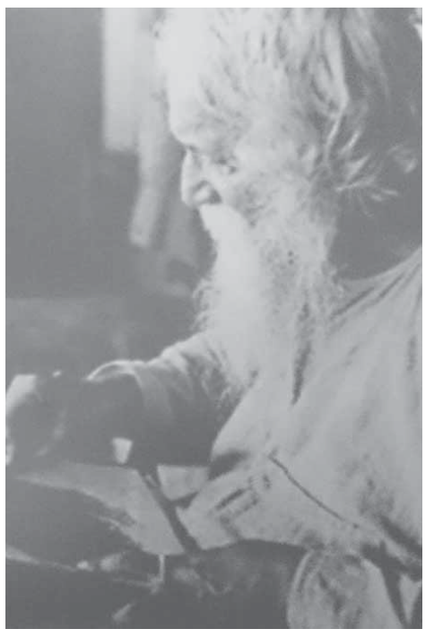

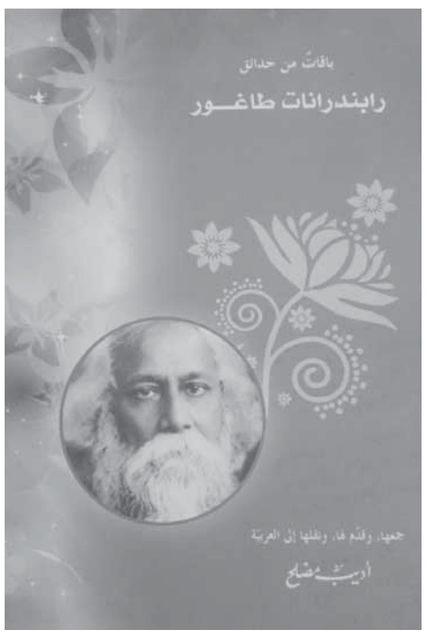

| سارة سلامة

تجولت مسحوراً بين جنبات حدائق طاغور الفسيحة الغنَاء، الموّارة بكل رائعٍ فاتنٍ، وسعيت إلى نظم أضمومة من أزاهيرها المتنوّعة الألوان والعطور، ولئن احتلّت منها روائع الشعر المكانة الأثيرة، غير أنها لم تستأثر بالمكان كلّه بل فسحت مجالاً لائقاً للخواطر والحكم والتأملات الصوفية التي ارتقى منها طاغور قمة شمّاء شاهقةً.

بهذه العبارات ابتدأ الكاتب أديب مصلح كتابه الذي جاء تحت عنوان «باقات من حدائق رابندرانات طاغور»، الذي عمل على تقديمها وجمعها ونقلها إلى العربية، وصدر الكتاب عن منشورات المكتبة البولسية في لبنان، محتوياً على جزأين بدواوين متعددة.

ضوء على حياته

عزف عن الثروة والترف واللهو، وأزرى بمظاهر الأبهة الاجتماعيّة، وانخرط في حياة نسك، نشداناً للاستنارة الروحيّة، واختلى في جبال الهملايا، بين القمم المتّشحة بالثلوج، والينابيع الهادرة، وانبرى للنضال من أجل حرية الإنسان وكرامته، ومن أجل إلغاء نظام الطبقات الاجتماعية المتشدد الذي كان يقدسه الهندوسيّون في حين كان يسحق ويذلّ السواد الأعظم من مكوناته، ودعا إلى احترام المرأة واحترام جميع الأديان العالميّة الكبرى، وآمن بألوهة واحدة شاملة، وقد أثار موقفه الجريء هذا حفيظة الوسّط الهندّوسيّ التقليديّ، الذي أقصاه، غير أن تقشفه، ونهجه النسكيّ قد استحقّا له لقب «مهاريشي» أي القديس الحكيم.

في جميع كتاباته امتزج النفس الملحميّ، بالنزعة التأمّليّة، والمحاكمة العقلية، قصائده تخاطب قلب كل إنسان، وتهزّ أوتار النفس، موقظةً السموّ الغافي في أغوارها، ومضرمةً أحرّ ما فيها من صبوّ إلى الاتحاد الوثيق بالخالق، وملهبةً ظمأها إلى الجمال، والنقاء، والحب الأسمى، والخلود.

«رابندرانات طاغور» هو الابن الرابع عشر والأصغر لـ«ديفيندرانات طاغور»، وكان شخصية غنية متعددة المواهب، فهو إلى جانب الشعر، الذي شرع ينظمه في سن العاشرة، ألف العديد من الروايات، ودبّج طائفةً وافرةً من الأبحاث والمقالات، ونعم بإشعاع عالمي رحب، وألف عشرات المسرحيات التي كان يخرجها بنفسه، أما في الموسيقى فوضع نحو ألفين ومئتي نشيد لحنها بنفسه، وفي عمر الستين استعان بالفرشاة والقلم وجسّد خواطره وأحلامه في ألوان ولوحات، عاش حياته بنضال وقدم خدمات كبيرة للفكر الدينيّ وللتربية والتعليم، وللإصلاح الاجتماعيّ والسياسيّ والاقتصاديّ، وللنهضة الأخلاقية، عدا عن إثباته أنه شاعرٌ عالميٌ مجل فذ.

> انتظر حتى يقترب القمر حينئذٍ ستتبين كم هو كبير

باقات شعرية

وهو الجزء الأول من كتاب «أديب مصلح» وضم دواوين متعددة، ومنها:

■ الفلكيُّ: آه! يا ليت أحداً يستطيع الإمساك بالقمر، ذات ليلة، عندما تكتمل دائرته، ويكون عالقاً بأغصان الشجرة! هذا كلّ ما تلفّظت به.

وسخر مني أخي الأكبر، قائلاً: « أيها الصغيرُ، أنت أكبر أحمق عرفته يوماً. إن القمر هناك، بعيد جداً فما السبيل إلى التقاطه؟»

قلتُ: «بل أنت الأحمق، يا أخي الأكبر، فعندما ترقبنا أمنا من النافذة، ونحن نلعب في فناء الدار، وتبعث إلينا ببسماتها، هل يمكنك الزعم بأنها بعيدة جداً»؟

وأجاب أخي: «أيها الجاهل الصغير، أين يمكن الحصول على شبكة قادرة على احتواء القمر؟»

فقلت: «ماً عليك سوى التقاطه بيديك!»

ولكن أخي الأكبر أغرق في الضحك وقال: «لم أرَ، قطُّ، ولداً في مثل سذاجتك. انتظر حتى يقترب القمر، وحينئذ ستتبيّن كم هو كبيرٌ»

فقلت: «يا أخي، ما هذه الحماقات التي يلقّنونك إيّاها في المدرسة! فعندما تنحني أمُّنا علينا كي تقبلنا، هل يبدو وجهها مفرطاً في الكبر؟».

وكرّر أخي الأكبر قوله: «إنك لصغير أحمق!»

■ ملءُ السلام: أبعد عنّي الحبَّ العارم الطاغي، فهو يحاكي الخمرة الفوّارة التي تفجّر وعاءها الخشبيّ، وتسفح، وتهدر، سريعاً.

وهبني حبّاً ندياً وطاهراً، مثل غيث مطرك الذي يؤتي الأرض العطشى البركة، ويملأ جرار المنزل.

هبني حباً يتسرب إلى مركز الكيان، ومنه يتفجّر نسغاً يسري في أغصان شجرة الحياة، ويولد الزهور والثمار.

هبني الحبَّ الذي يشيعُ القلب، ملءَ السلامِ.

■ عطاء الله: يا الله، أعطيت العصفور التغريد، وهو يشدو شدوه، ولاَ يقوى على أكثر منه. وأعطيتني الصوت، وأنا أعطي أكثر من الصوت: أخلق أناشيدي.

وهبت الريحَ الحرّيّة، لكي يكون خادمك هذا، بطبيعته، محرراً من كلّ قيد، وأنا كلفتني بحمل ألف لونٍ من الأعباء، أسير بها بعناء، على دروبٍ محددة أو مستقيمة..

وذات يوم سأطهر عند قدميك، وقد تحرّرت ذراعاي كي تخدماكَ وحدك.

وهكذا كل القيود هي لي وسيلة تحرُّر.

لم تعط وجه البدر سوى بسمة، وهو يسكب أحلاماً عذبةً، ويغمر الأرضَ بكوثره السماويّ. وكسوت جبيني الملتهب بالألم.

خواطر وحكم

وهو العنوان الذي أختاره الكاتب للجزء الثاني وضم العديد من المقتطفات والحكم:

■ يقظة وتساؤل: إن أسوأ أنواع اللاوعي هو جهل الإنسان لنفسه، عندها يضحي جهلنا للإلهيّ بدهياً، حيث لا نشعر بغيابه، فلتنتزعنا الدعوة الداخلية» استيقظ، «من حالة اللامبالاة والذهول عن حقيقة كياننا، ولينشأ في قلوبنا ألم جارح كفيل بهز خدرنا! وليفتخر من أعماقنا هذا التأوه: «لست ألحظ حضورك فيَّ، والحياة تبدو لي فارغة من المعنى، فلتنبض كلّ أوتار نفسي بهذه الصرخة: «عساني أعثر على دربي، خارج ظلمة الجهل!».

غالباً ما كان يُطلب من الشاعر طاغور تدوين حكم، وأقوال موجزة، كثيفة المضمون، مسكوكة العبارة، باهرة الصور، وكان الّذين يظفرون بها يطبعونها على أقمشة حريريةٍ، ويحتفظون بها، أثراً نفسياً غالياً.

من هذه الأقوال ولدت مجموعة يراعات وهذه مقتطفات منها:

■ في رحاب النفس:

– ليت حبي يلفُّك بضيائه كالشمس، ويدعُ لك حريةً مشرقةً.

– الذاكرة كاهنة تقتل الحاضر، وتقدّم قلبها على هيكل الماضي الميت.

– هجاء الكبار كفرٌ، لأنه يؤذي الذات، وهجاء الصغار حقارةٌ، لأنه يؤذي غيرنا.

– تبتسم المصلحة للطيبة، كلما توسّمت فيها نفعاً.

– قد يغدو الضعيف مخيفاً، بسبب سعيه المسعور إلى إظهار قوّته.

■ توثبات روحية:

– إن كان اسمي لك عبئاً، فاقصه عن تقدمي، واحتفظ بنشيدي.

– تقول النجمة: «دعوني أضئ مصباحي، غير مستفسرة هل سيبدد نورها الظلمات»

– الآلهة التي تسأم فراديسها تحسد بني البشر.

– المتصدق يصل إلى باب الهيكل، أما المحب فيدخل إلى المحراب.

قادة سورية في كتاب توثيقي

| الوطن

(القادة السوريون يتكلمون) الكتاب يغطي الفترة الممتدة من سنة ١٩١٨ حتى ٢٠١٥ وتبلغ صفحاته أربعمئة صفحة من القطع الكبير، جاء حاضاً على الصمود والصبر والمقاومة في وجه الأعداء المتآمرين على الوطن من الداخل والخارج، ونضالات الشعب السوري وقادته، المستميتة والمستمرة من أجل الحفاظ على سيادة ووحدة الوطن، وعرض التاريخ الأسود للتنظيمات التكفيرية والإرهابية في جميع مراحل نضال القادة السوريين والشعب السوري، وفيه شرح وإظهار لما قام به القائد المؤسس حافظ الأسد في التحضير والتخطيط والتنفيذ لحرب تشرين التحريرية سنة ١٩٧٣، ومضامين القيادة التاريخية للقائد المؤسس، وتبيان وإظهار أسرار وأسباب قيام الوحدة بين سورية ومصر سنة ١٩٥٨ وكيف ولماذا حصل الانفصال سنة ١٩٦١؟ إضافة للكثير من الأحداث والأعمال والبطولات والأقوال المتعلقة برؤساء سورية وبالشخصيات القيادية التي مرّت عليها.

مؤلف الكتاب العميد المتقاعد يحيى نيوف أهداه إلى روح القائد المؤسس حافظ الأسد (رحمه الله) القائد الكبير – والتاريخ الناصع – والمناضل المنتصر. وإلى سيادة الفريق بشار الأسد القائد العام للجيش والقوات المسلحة رئيس الجمهورية العربية السورية – الصامد – الصابر – المنتصر، وإلى شهداء الوطن (أنبل بني البشر) من الجيش العربي السوري والشرطة والأمن والدفاع الوطني – وكتائب البعث – والمنظمات الشعبية، وكل مواطن شريف دافع عن وطنه (سورية) وإلى أمهات الشهداء اللواتي زغردن في شهادة أبنائهن وإلى الأجيال القادمة والحاضرة والذين سيحفظون الوطن، ويدافعون عنه ويحملون إرث الأجداد وإلى أسرته وكل من ساعده وقدم له حقائق تاريخية لإنجاز الكتاب.

وذكر في نهايته أسماء الرؤساء القادة الذين تعاقبوا على سورية من سنة ١٩١٩ حتى تاريخه وهم: (محمد علي العابد– هاشم الأتاسي– بهيج الخطيب– خالد العظم– تاج الدين الحسني– جميل الألشي– شكري القوتلي– حسني الزعيم– هاشم الأتاسي– سعيد إسحق– فوزي السلو– أديب الشيشكلي– هاشم الأتاسي– شكري القوتلي– جمال عبد الناصر– مأمون الكزبري– عزت النص– ناظم القدسي– لؤي الأتاسي– أمين الحافظ– نور الدين الأتاسي– أحمد الخطيب– حافظ الأسد– بشار الأسد).

يشكل الكتاب وثيقة تاريخية مهمة في تاريخ سورية الحديث، ويقدم صورة متكاملة لقرن من الزمن، دون أن يغفل المراحل التاريخية المتعددة.

«نص نعل» فيلم قصير في البحث عن الذات الإنسانية

جهينة العوّام: كلّ نصّ هو تجربة جيدة في السيناريو

رولا سفّور: لا أحد يخرج بفيلم يرضى عن تجربته فيه

| عامر فؤاد عامر

تبقى مسألة البحث عن الذات والبحث عن الهدف من المسائل التي يسعى إليها الكائن البشري في حياته، واليوم أصبحت الظروف الضاغطة على الإنسان في سورية مشتركة في همومه لتدفع به لمناقشة فكرة البحث عن الذات في مكانٍ آخر، ولذلك يطرح البعض اليوم فكرة البحث عن موطن جديد يحقق الإنسان هدفه فيه، وهنا يقع التشوه فخاً في نظم الحقيقة، والتي تقول في النتيجة إن الموطن يمكث في دواخل النفس البشرية فأينما حلّ فلا مشكلة لأن النفس بمكنوناتها وذاكراتها ومنشئها هي الوطن الحقيقي للإنسان، وهذه هي قصة وحبكة الفيلم القصير «نص نعل» حيث انتهت المخرجة والكاتبة «جهينة العوّام» والمخرجة «رولا سفور» من تصوير مشاهده مؤخراً في دمشق، وحول هذه التجربة كان لنا هذه الوقفة معهما:

رولا سفور وجهينة العوام مع بطل الفيلم

الفنان القدير أديب قدورة ومجد فضة

«جهينة العوام» ككاتبة ومخرجة

• تجربة كتابة السيناريو ليست بالجديدة عليك، لكن كفيلم قصير كانت هذه هي المرّة الأولى لكَ. حدثينا عن التجربة وعن خصوصيتها معك؟

تتجدد تجربة كتابة السيناريو مع كلّ نصّ جديد أكتبه، بغضّ النظر عن توصيف العمل الذي أقوم به، وأعتقد أن تجربة الوصول إلى نص أكثر نضجاً واكتمالاً في كلّ مرّة هو الأكثر متعةً بالنسبة لي أمّا عن تنفيذ فيلم قصير، فهذا من الأحلام التي تحققت، وربما تجدر الإشارة هنا إلى أن إخراج هذا الفيلم «نص نعل» كان بمشاركة زميلتي في دبلوم العلوم السينمائيّة «رولا سفور».

• لماذا اخترتما الفنان القدير «أديب قدّورة» فهد الشاشة السوريّة، وكذلك الشاب الممثل «مجد فضة»؟

عندما كتبت السيناريو كنت أتخيل الفنان العملاق «أديب قدورة»، والموهوب المتألق «مجد فضة»، وقد تطابقت أفكاري ورؤيتي مع «رولا»، وتمسكنا بخيارنا ليقيننا وثقتنا بموهبة الفنانين، ناهيك عن التاريخ الفنّي للكبير «أديب قدورة» في كلّ ما يحمله، ويمثله هذا الاسم في السينما السورية، ومن ناحية ثانية السيناريو نال استحسان الفنانين، وهذا مهم جداً لنا. وأودّ حقيقةً أن أتحدّث عن المهنيّة العالية للفنان «أديب قدّورة»، الذي كان على تواصلٍ دائمٍ معنا خلال فترة التحضير إن كان في اختيار الملابس الخاصّة بالشخصيّة، أو في كثير من التفاصيل المرتبطة بالعمل ومشاركتنا الرأي فيها، وللأمانة تعلّمتُ من القدير «أديب قدّورة» الكثير.

• التجربة الإخراجيّة الأولى لك، وهي مسؤوليّة ترتبت على عاتقك، كيف تقبّلتها وأين تجدين نفسك في هذه التجربة؟ وهل للإخفاق حسابات فيها أو كانت احتماليّة النجاح فيها عالية؟

الخطأ كاهن الحكمة، لولا تلك النُدب والرضوض لما تعلّم الطفل المشي. الأهمّ في أي تجربة قبل حسابات الربح أو الخسارة بالنسبة لي هو الشغف بما أنا على وشك الإقدام عليه، وتقديم أفضل ما لدي لإنجاز العمل، وعموماً الإخراج عمليّة صعبة للغاية، فهو حالة إبداعيّة شاهقة الإحساس، وعالية الكثافة، وهي خلاصة تجربة، وثقافة، وذائقة فنيّة رفيعة، لذلك أجد الوقت مبكراً للحكم على تجربتي التي أتمنى أن تكون موفقة.

رولا سفور في الإخراج

• «نص نعل» هو التجربة الإخراجيّة الأولى لك، فماذا تحدثينا عنها ولاسيما أنها جاءت بعد الدراسة وبالشراكة مع زميلتك؟

لقد عملت في أكثر من مسلسل وفيلم سابقاً، ولكن كتجربة إخراجية كانت هذه هي الأولى والفرق كبير طبعاً، فحجم العمل أكبر، والضغط والقلق كذلك أكبر، ويبدو أن الدراسة في دبلوم العلوم السينمائيّة زادتني ثقة أكثر، من حيث المقدرة على إدارة العمل وإخراجه، ولكن من حيث الدراسة لم يكن هناك الكم الكبير الجديد من المعلومات، وذلك بحكم عملي كما أشرت منذ البداية، أمّا عن شراكتي مع زميلتي «جهينة العوّام» فقد اتفقنا عليها من قبل مرحلة المنح التي قدّمتها مؤسسة السينما، فقد كنا متقاربتين ومتفاهمتين كثيراً، وهذا يساعد على إنجاز العمل، وهناك نية من جديد لإعادة التجربة.

• إلى أي مدى يمكن القول إنك استطعت إيصال رؤيتك الفنيّة ضمن فيلم قصير، وما الذي أردت إيصاله في هذه التجربة؟

حاولنا أن نوصل وجهة نظرنا ضمن فيلم قصير، وضمن الإمكانات المتاحة، وضمن المدّة القصيرة المتاحة للتصوير، وقد كان لدينا صعوبات مرافقة قبل وأثناء وبعد التصوير، ولكن يبقى للإنسان أن يحاول ويسعى للنجاح، وباعتقادي لا أحد يستطيع إيصال كلّ ما يتخيّله تماماً، فلا أحد يخرج من فيلمه برضا كامل، حتى أكبر المخرجين في العالم. وفي النهاية حاولنا أن نقدّم إمكانياتنا ضمن المتاح ليس أكثر. وكتجربة أولى نوعاً ما راضية، ولكن أطمح لشيءٍ أهم وأكبر من ذلك.

• ما خطواتك القادمة ضمن مجال الإخراج؟

أنوي أن أكمل باختصاصي في السنة الثانية من دبلوم العلوم السينمائيّة، وهناك مشروع تعاوني جديد بيني وبين «جهينة العوّام» من جديد في فيلم قصير آخر، وهو للعام المقبل، ومشاريعي مع «جهينة» كثيرة للمستقبل.

يذكر أن فيلم «نص نعل» فيلم قصير من كتابة وسيناريو «جهينة العوّام»، من إخراج مشترك لـ«جهينة العوام»، و«رولا سفّور». ومن بطولة: الفنان الكبير «أديب قدورة»، والفنان «مجد فضّة».